

الثقافات الثلاث

بقلم : أ. عبد الحميد عبد المقصود

رسوم : أ - إسماعيل دياب

إشراف : أ. حمدي مصطفى



يُحْكِي أَنَّ الْخَلِيفَةَ (هَارُونَ الرَّشِيدَ) كَانَ مَشْهُورًا بِالتَّنَكُّرِ
وَالتَّخْفِي ، وَالْخُرُوجِ مِنْ قَصْرِهِ لَيْلًا ، لِتَفْقُدِ أَحْوَالِ الرُّعِيَّةِ
وَالْحُكَّامِ ، حَتَّى يَرُدَّ الْمَظَالِمَ إِلَى أَهْلِهَا ، وَيُنْصِفَ الْمَظْلُومَ مِنَ
الظَّالِمِ ، وَيَقْتَصِرَ مِنَ الظَّالِمِ لِلْمَظْلُومِ ..

وَيُحْكِي أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ وَزِيرِهِ (جَعْفَرٍ) وَسَيَّافِهِ (مَسْرُورٍ) ذَاتَ
لَيْلَةٍ مُتَنَكِّرِينَ ، فَسَارُوا فِي شَوَارِعِ مَدِينَةِ (بَغْدَادٍ) وَمَرُّوا فِي
أَسْوَاقِهَا ، حَتَّى مَرُّوا بِرَقَاقٍ ضَيِّقٍ ، فَشَاهَدُوا شَيْخًا كَبِيرًا يَحْمِلُ
عَلَى كَتِفِهِ شَبَكَةً ، وَعَلَى رَأْسِهِ قَفَّةً ، وَفِي يَدِهِ عَصَا ، وَشَكْلُهُ
يُوْحِي بِالْبُؤْسِ وَالْفَقْرِ ، وَهُوَ يُنْشِدُ شِعْرًا مُؤَثِّرًا يَشْكُو فِيهِ حَالَهُ
وَقَفْرَهُ ، فَتَعَجَّبَ الْخَلِيفَةُ ، وَقَالَ لَوْزِيرِهِ (جَعْفَرٍ) :

- أَحْضِرْ هَذَا الشَّيْخَ ، لِنَنْظُرَ حِكَايَتَهُ ، لِأَنَّ حَالَهُ وَكَلَامَهُ يُدْلَانِ
عَلَى شِدَّةِ فَقْرِهِ وَاحْتِيَاجِهِ ..

فَأَحْضَرَ (جَعْفَرُ) الشَّيْخَ ، وَأَوْقَفَهُ أَمَامَ الْخَلِيفَةِ ، فَقَالَ لَهُ :

- مَا هِيَ حِكَايَتُكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ ، وَلِمَاذَا تَمْشِي حَزِينًا فِي مِثْلِ

هَذَا الْوَقْتِ مِنَ اللَّيْلِ !؟



فَقَالَ الشَّيْخُ :

- أَنَا صَيَّادٌ يَا سَيِّدِي ، وَعَبْدِي عِيَالٌ كَثِيرُونَ .. لَقَدْ خَرَجْتُ مِنْ
بَيْتِي إِلَى الْبَحْرِ مُنْذُ الصُّبْحِ ، وَظَلَلْتُ أُلْقِي شَبَكَتِي ، لَكِنْ اللَّهُ
تَعَالَى لَمْ يَقْسِمْ لِي رِزْقًا ، أَقْوَتْ بِهِ عِيَالِي ، حَتَّى هَذَا الْوَقْتُ ، وَلِذَلِكَ
كَرِهْتُ نَفْسِي : وَكَرِهْتُ أَنْ أَعُودَ إِلَى بَيْتِي بِدُونِ رِزْقٍ ..

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ :

- هَلْ تَعُودُ مَعَنَا إِلَى شَاطِئِ (دِجَلَةَ) وَتُلْقِي شَبَكَتَكَ فِي الْمَاءِ

على بختى ، وأى شئ طلع فى الشبكة اشترىته منك بمائة دينار ، حتى ولو كانت سمكة واحدة ١٩

ففرح الصياد بهذا العرض المغري ، ورجع معهم إلى شاطئ (دجلة) ، فرمى شبكته ، وانتظر قليلاً .. ثم جذبها ، فوجدها ثقيلة جداً ، ولم يقدر على إخراجها من الماء ، حتى ساعده (جعفر) و(مسرور) ..

وكم كانت دهشة الجميع ، عندما وجدوا فى الشبكة صندوقاً كبيراً مقفولاً ، فأعطى الخليفة للصياد مائة دينار - كما وعده - وأمر وزيره وسيافه بحمل الصندوق إلى القصر ..

وفى القصر أمر الخليفة بفتح الصندوق ، فلما فتحه (جعفر) و(مسرور) وجدوا فيه صبية مقتولة ، وجهها كأنه البدر فى ليلة تمامه .. فتأثر الخليفة ، وسالت دُموعه على خده حزناً على القتيلة .. ثم صاح فى وزيره (جعفر) :

- لا بد أن أقتص لهذه الصبية ممن قتلها .. اذهب وابحث عن قاتل هذه الصبية ، حتى أقتله بقتلها ، وإلا قتلتك مكانه ..



فَقَالَ (جَعْفَرُ) :

- سَمْعًا وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .. فَقَطْ أَعْطِنِي مُهَلَّةً ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ،

حَتَّى أَبْحَثَ عَنِ الْقَاتِلِ وَأُحْضِرَهُ ..

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ :

- لَقَدْ أَمَهَلْتُكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ..

غَادَرَ الْوَزِيرُ (جَعْفَرُ) قَصْرَ الْخُلَيْفَةِ ، مَهْمُومًا وَهُوَ لَا يَدْرِي ،
كَيْفَ يَفْعَلُ فِي هَذِهِ الْمُصِيبَةِ ، الَّتِي حَلَّتْ عَلَى رَأْسِهِ ، وَقَالَ فِي
نَفْسِهِ :

- مِنْ أَيْنَ أَعْرِفُ قَاتِلَ هَذِهِ الصَّبِيَّةِ ، حَتَّى أُحْضِرَهُ لَهُ ؟! وَإِنْ
أَحْضَرْتُ لَهُ شَخْصًا غَيْرَهُ أَمَرَ بِقَتْلِهِ ، وَيَصِيرُ ذَنْبُهُ فِي رَقَبَتِي ..
وَتَوَجَّهَ الْوَزِيرُ (جَعْفَرُ) إِلَى بَيْتِهِ ، فَمَكَثَ فِيهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَهُوَ
لَا يَدْرِي كَيْفَ يَهْتَدِي إِلَى الْقَاتِلِ ، حَتَّى انْتَهَتْ الْمُهْلَةُ الَّتِي
حَدَّدَهَا لَهُ الْخُلَيْفَةُ ..

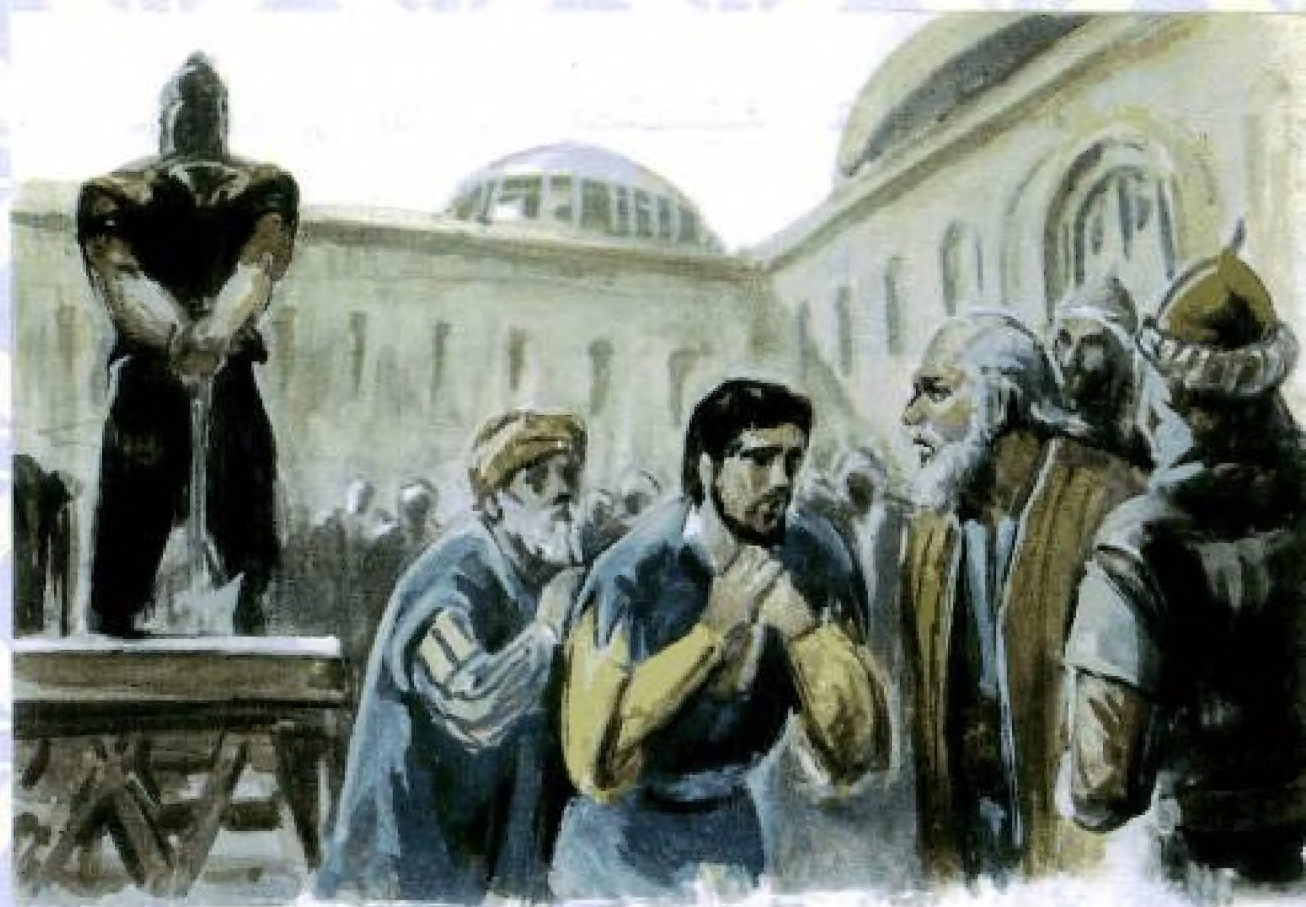
وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ أَرْسَلَ لَهُ الْخُلَيْفَةُ ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ
لَهُ الْخُلَيْفَةُ :

- أَيْنَ قَاتِلَ الصَّبِيَّةِ يَا جَعْفَرُ ؟!

فَقَالَ (جَعْفَرُ) :

- يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَلْ أَنَا أَعْلَمُ الْعُيُبَ ، حَتَّى أَعْرِفَ الْقَاتِلَ ؟!

فَلَمَّا سَمِعَ الْخُلَيْفَةُ ذَلِكَ ، اغْتَاظَ غَيْظًا شَدِيدًا ، وَأَمَرَ بِصَلْبِ



(جَعْفَر) عَلَى بَابِ قَصْرِهِ ، وَأَمَرَ الْمُنَادِينَ أَنْ يَنَادُوا فِي شَوَارِعِ
(بَغْدَادَ) : مَنْ أَرَادَ الْفُرْجَةَ عَلَى إِعْدَامِ الْوَزِيرِ (جَعْفَر) الْبَرْمَكِيِّ ،
فَلْيَخْرُجْ لِيَتَفَرَّجَ عَلَيْهِ ، فَخَرَجَتِ النَّاسُ مِنْ أَحْيَاءِ (بَغْدَادَ) لِيُشَاهِدُوا
تَنْفِيزَ الْحُكْمِ فِي الْوَزِيرِ ..

أَخَذَ حَرَسُ الْخُلَيْفَةِ يُعِدُّونَ الْعُدَّةَ ، لِيَتَفَيزَ الْحُكْمُ ، مُنْتَظِرِينَ الْإِذْنَ
مِنَ الْخُلَيْفَةِ لِبَدَأِ التَّنْفِيزِ ، وَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ظَهَرَ شَابٌّ ،
وَشَقَّ الرِّحَامَ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى (جَعْفَر) فَقَالَ لَهُ :

- أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، أَنَا قَاتِلُ الصَّبِيَّةِ ، الَّتِي وَجَدْتُمُوهَا فِي
الصُّدُوقِ بِنَهْرٍ رِجْلَةً ..

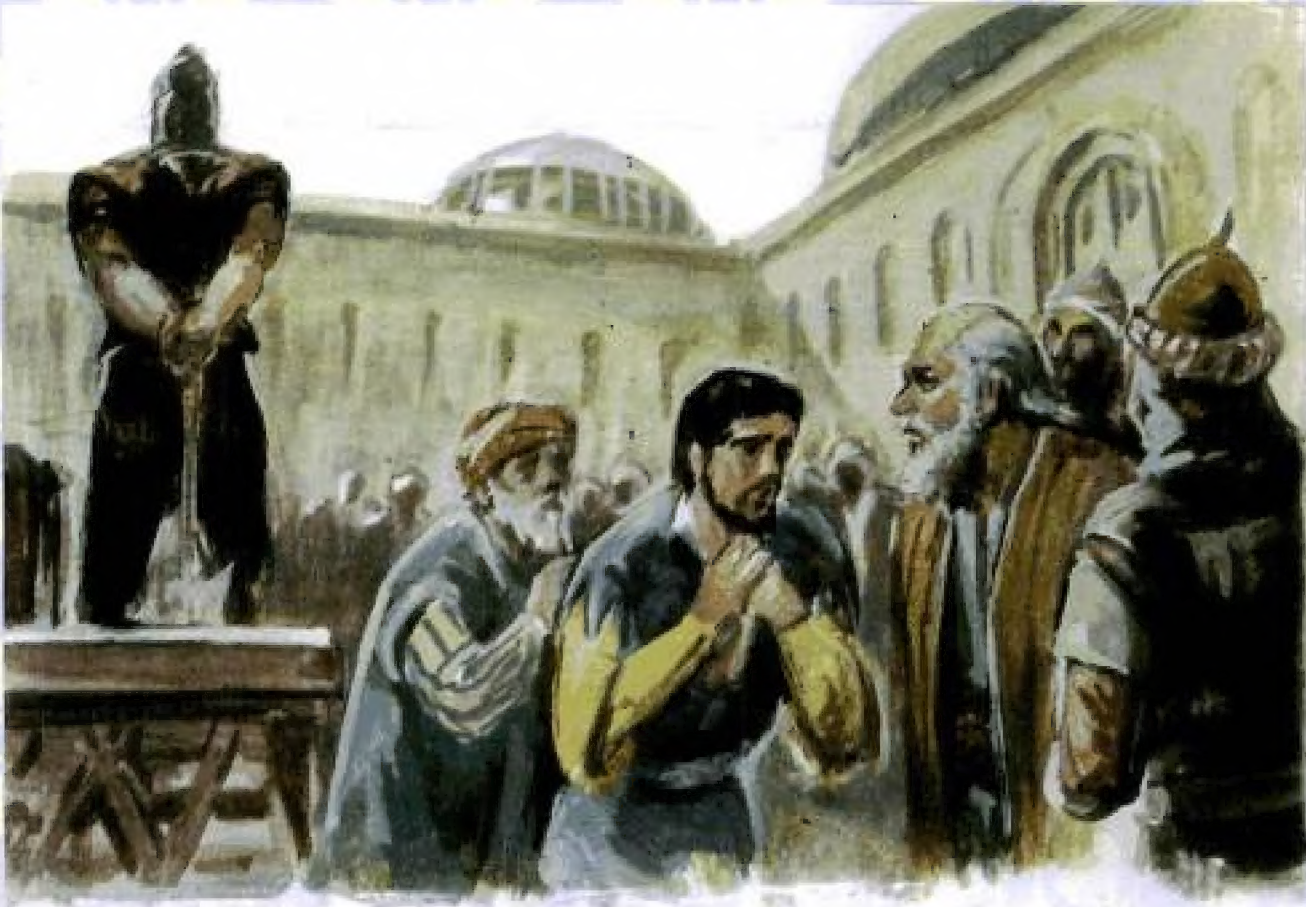
فَلَمَّا سَمِعَ (جَعْفَرُ) كَلَامَ الشَّابِّ ، فَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا بِخُلَاصِ
نَفْسِهِ مِنَ الْمَوْتِ ، وَبَيْنَمَا هُمَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ، رَأَى (جَعْفَرُ)
شَيْخًا كَبِيرًا يَشُقُّ الزَّحَامَ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ يَصِيحُ قَائِلًا :

- أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، لَا تُصَدِّقْ كَلَامَ هَذَا الشَّابِّ ، فَإِنَّا قَاتِلُ الصَّبِيَّةِ
الَّذِي تَبَحْثُونَ عَنْهُ ..

وَحَاوَلَ الشَّابُّ أَنْ يَنْفِي التُّهْمَةَ عَنِ الشَّيْخِ ، ذَاكِرًا أَنَّهُ هُوَ قَاتِلُ
الصَّبِيَّةِ ، كَمَا أَصَرَ الشَّيْخُ عَلَى أَنَّهُ هُوَ قَاتِلُ الصَّبِيَّةِ ..

وَهَكَذَا رَاحَ كُلُّ مِثْلِهِمَا يَنْفِي ، التُّهْمَةَ عَنِ الْآخَرِ ، وَيُحَاوِلُ
إِلْصَاقَهَا بِنَفْسِهِ ، طَالِبًا مِنَ الْوَزِيرِ أَنْ يُعَجِّلَ بِتَنْفِيزِ حُكْمِ الْمَوْتِ
فِيهِ .. فَلَمَّا رَأَى الْوَزِيرُ (جَعْفَرُ) ذَلِكَ أَخَذَ الشَّابُّ وَالشَّيْخُ ، وَتَوَجَّهَ
إِلَى قَصْرِ الْخُلِيفَةِ ، فَقَالَ لَهُ :

- لَقَدْ أَحْضَرْتُ لَكَ شَخْصَيْنِ ، كُلُّ مِثْلِهِمَا يَدْعِي أَنَّهُ هُوَ قَاتِلُ
الصَّبِيَّةِ ..



فَنظَرَ الْخُلَيْفَةُ إِلَى الشَّابِّ وَالشَّيْخِ وَقَالَ لَهُمَا :

- مَنْ مِنْكُمَا قَتَلَ الصَّبِيَّةَ ١٩

فَأَصَرَ كُلُّ مَنْ الشَّابِّ وَالشَّيْخِ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَتَلَ الصَّبِيَّةَ ،
وَأَنَّ الْآخَرَ بَرِيءٌ .. فَلَمَّا رَأَى الْخُلَيْفَةُ إِصْرَارَ كُلِّ مِنْهُمَا ، قَالَ
لِوَزِيرِهِ :

خُذِ الْاِثْنَيْنِ ، وَمُرِ السِّيَافَ (مَسْرُورَ) أَنْ يُنْفَذَ فِيهِمَا حَكْمُ الْمَوْتِ ..
فَقَالَ الشَّابُّ فِي صِدْقٍ :

- وَحَقٌّ مَنْ رَفَعَ السَّمَاءَ بِغَيْرِ عَمَدٍ ، وَبَسَطَ الْأَرْضَ عَلَى مَاءٍ
جَمَدٍ ، أَنَا الَّذِي قَتَلْتُ الصَّبِيَّةَ ..

وَأَخَذَ يَصِفُ لَهُ الْفَتَاةَ وَمَلَابِسَهَا وَالْأَشْيَاءَ الَّتِي وَجَدَتْ مَعَهَا
دَاخِلَ الصُّنْدُوقِ .. فَتَحَقَّقَ الْخَلِيفَةُ أَنَّ الشَّابَّ هُوَ قَاتِلُهَا ، وَقَالَ :

- وَلَكِنْ لِمَاذَا قَتَلْتَهَا ؟

فَبَدَأَ الشَّابُّ يَحْكِي قِصَّتَهُ مَعَ الْفَتَاةِ الْقَتِيلَةِ ، ذَاكِرًا لِلْخَلِيفَةِ
أَنَّهَا زَوْجَتُهُ ، وَابْنَةُ عَمِّهِ ، وَأَنَّ الشَّيْخَ هُوَ أَبُوهَا ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ
رَزَقَهُ مِنْهَا بِثَلَاثَةِ أَوْلَادٍ ، وَأَنَّهَا مُنْذُ شَهْرٍ مَرِضَتْ مَرَضًا شَدِيدًا ،
فَأَحْضَرَ لَهَا الْأَطِبَّاءَ ، حَتَّى شُفِيتْ ، فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّهَا تَشْتَهُى أَنْ
تَأْكَلَ تَفَّاحًا ، وَأَنَّهُ بَحَثَ لَهَا عَنِ التَّفَّاحِ فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ ، وَفِي
بَسَاتِينِهَا ، فَلَمْ يُوَفِّقْ إِلَى الْعُثُورِ عَلَى تَفَّاحَةٍ وَاحِدَةٍ ، حَتَّى
يَشْتَرِيَهَا لَهَا ..

وَأَنَّ أَحَدَ بَاعَةِ الْفَاكِهَةِ قَدْ نَصَحَهُ بِالذَّهَابِ إِلَى بُسْتَانِ قَصْرِ
الْخَلِيفَةِ فِي بَغْدَادَ ، لِأَنَّ التَّفَّاحَ لَا يَوْجَدُ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ مِنَ
الْعَامِ إِلَّا فِي قَصْرِ الْخَلِيفَةِ ، بِمَدِينَةِ (الْبَصْرَةِ) ..



ولما كان الشاب من (بغداد) فقد سافر إلى مدينة (البصرة) وقابل
 بستاني قصر الخليفة هناك ، فاشترى منه ثلاث تفاحات بثلاثة
 دنانير ذهباً ثم حملها عائداً إلى زوجته ، فوجد أن مرض الحمى
 قد اشتد بها ، حتى أفقدها وعيها ، فلما أعطاهم التفاح لم تهتم به ،
 ولم تأكل منه ، بل تركته إلى جانيها ..

وواصل الشاب حكايته قائلاً :

- ظللت بجوار زوجتي عشرة أيام ، حتى عوفيت من مرضها ،

فَخَرَجْتُ مِنَ الْبَيْتِ مُتَوَجِّهًا إِلَى دُكَانِي ، حَتَّى أَبَاشِرَ تِجَارَتِي ..

وَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ ذَاتَ يَوْمٍ أَمَامَ دُكَانِي ، مَرَّ عَلَى عَبْدُ اسْوَدُ ،

وَبِيَدِهِ تَفَاحَةٌ يَلْعَبُ بِهَا ، فَلَفَتَ ذَلِكَ اسْتِبَاهِي ، وَقُلْتُ لَهُ :

مِنْ أَيْنَ اسْتَرَيْتَ هَذِهِ التَّفَاحَةَ ، حَتَّى اسْتَرَيْ مِثْلَهَا ؟!

فَضَحِكَ الْعَبْدُ وَقَالَ : لَمْ اسْتَرِهَا ، لَكِنِّي كُنْتُ مَسَافِرًا ، وَلَمَّا

عُدْتُ مِنْ سَفَرِي ذَهَبْتُ إِلَى حَبِيبَتِي ، فَوَجَدْتُهَا مَرِيضَةً وَعِنْدَهَا

ثَلَاثُ تَفَاحَاتٍ ، قَالَتْ لِي إِنَّ زَوْجَهَا سَافِرٌ إِلَى (الْبَصْرَةِ)

وَاسْتَرَاهَا بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرٍ ، فَأَخَذْتُ مِنْهَا هَذِهِ التَّفَاحَةَ ..

وَتَوَقَّفَ الشَّابُّ عَنْ رِوَايَةِ حِكَايَتِهِ ذَاهِلًا ، فَقَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ :

- وَمَاذَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ ؟!

فَوَاصِلَ الشَّابُّ حِكَايَتَهُ قَائِلًا :

- لَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَ الْعَبْدِ ، اسْوَدَّتِ الدُّنْيَا فِي وَجْهِهِ ، فَأَعْلَقْتُ

دُكَانِي ، وَعُدْتُ إِلَى الْبَيْتِ مُسْرِعًا ، وَالْغَضَبُ يَمْلَأُونِي ، وَنَظَرْتُ

بِجَوَارِ زَوْجَتِي ، فَلَمْ أَجِدْ سِوَى تَفَاحَتَيْنِ فَقَطْ ، فَسَأَلْتُهَا عَنْ

التَّفَاحَةِ الثَّالِثَةِ ، فَأَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا لَا تَدْرِي أَيْنَ ذَهَبَتْ ..



وهنا تحققت من كلام العبد ، وهجمت

عليها فقتلتها .. ثم وضعتها في هذا الصندوق ، وحملت

الصندوق ، فالقيت به في نهر دجلة ، حيث عثرت عليه ..

فلما عدت إلى البيت وجدت ولدي الكبير يبكي - ولم يكن قد علم

أنني قتلت والدته - فسألتها عن سبب بكائه ، فقال لي :

لقد أخذت تفاحة من التفاحات الثلاث التي عند أمي ، ونزلت

بها إلى الشارع ، لألعب مع رفاقي ، فمر علينا عبد أسود وخطفها

مِنِّي قَائِلًا : مَنْ أَيْنَ أَحْضَرْتَ هَذِهِ التَّفَاحَةَ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : لَقَدْ سَافَرَ
أَبِي إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَاشْتَرَى ثَلَاثَ تَفَاحَاتٍ مِنْ أَجْلِ أُمِّي
الْمَرِيضَةِ ، بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرٍ .. وَتَوَسَّلْتُ إِلَيْهِ أَنْ يُعِيدَهَا لِي ، لَكِنَّهُ
أَخَذَهَا وَذَهَبَ .. وَأَنَا خَائِفٌ أَنْ تُضْرِبَنِي أُمِّي ..

وَانْهَلَتْ دُمُوعُ الشَّابِّ غَزِيرَةً ، وَهُوَ يُوَاصِلُ حَدِيثَهُ قَائِلًا :
- فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَ ابْنِي عَلِمْتُ أَنَّ الْعَبْدَ قَدْ كَذَبَ عَلَيَّ ، وَأَنْنِي
قَتَلْتُ ابْنَةَ عَمِّي ظُلْمًا .. وَجَلَسْتُ أَبْكِي عَلَى قَتْلِهَا بُكَاءً حَارًّا ،
حَتَّى أَقْبَلَ عَمِّي وَعَلِمَ بِمَا حَدَّثَ ، فَجَلَسَ بِيْجَانِي يَبْكِي عَلَى فِرَاقِ
ابْنَتِهِ ، وَاحْذَتْ أَنْتَاسِفُ عَلَى قَتْلِهَا ، حَتَّى عَلِمْتُ أَنَّ الْوَزِيرَ
(جَعْفَرَ) سَوْفَ يُقْتَلُ بِسَبَبِي ظُلْمًا ، فَاسْرَعْتُ إِلَى هُنَا ، حَتَّى
تُعْجَلَ بِقَتْلِي أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ .

فَلَمَّا سَمِعَ الْخَلِيفَةُ مَا حَدَّثَ ، قَالَ فِي غَضَبٍ :
- وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُ إِلَّا ذَلِكَ الْعَبْدَ الْخَبِيثَ ، الَّذِي تَسَبَّبَ بِكَذِبِهِ فِي
قَتْلِ إِنْسَانَةٍ بَرِيئَةٍ ..

وَالْتَفَتَ الْخَلِيفَةُ (هَارُونَ الرَّشِيدُ) إِلَى وَزِيرِهِ (جَعْفَرَ) قَائِلًا :



- أُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تُحْضِرَ لِي ذَلِكَ الْعَبْدَ الْخَبِيثَ حَتَّى أَمُرَ بِقَتْلِهِ ،
وَإِذَا لَمْ تُحْضِرْهُ قَتَلْتُكَ مَكَانَهُ .. أَمَامَكَ مُهْلَةٌ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ .

غَادَرَ (جَعْفَرُ) قَصْرَ الْخُلَيْفَةِ ، وَهُوَ لَا يَدْرِي مَاذَا يَفْعَلُ فِي هَذِهِ
الْبُلُوى الْجَدِيدَةِ ، الَّتِي وَقَعَتْ عَلَى رَأْسِهِ وَقُوعَ الصَّاعِقَةِ ..

فَجَلَسَ فِي بَيْتِهِ مُفَوَّضًا أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ ، وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يُنْجِيَهُ
هَذِهِ الْمَرَّةَ ، كَمَا نَجَّاهُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى ..

وهكذا انقضت الأيام الثلاثة ، ولم يقف جعفر للعبد على أثر ،
وفى اليوم الرابع جاءه رسول الخليفة ليذهب إليه مستعداً
للموت ، طالما أنه لم يحضر العبد ، فقام (جعفر) إلى أهله
يودعهم واحداً واحداً .. وعيدماً مال على ابنته الصغيرة ،
ليقبلها عثر على تفاحة في جيبتها ، فسألها قائلاً في دهشة :
- من أين أحضرت هذه التفاحة ..

ف قالت له إنها اشترتها بدينارين من عبدهم (ريحان) فأحضر
(جعفر) العبد ، وسأله عن مصدر هذه التفاحة ، فحكى له
(ريحان) كيف خطف التفاحة من الطفل ، وكيف بكى الطفل
وحكى له قصة التفاحات الثلاث .. فعلم (جعفر) أن العبد
(ريحان) هو المطلوب ، فقاد إلى قصر الخليفة (هارون
الرشيد) ليلقى جزاءه ..

(تمت)